الوليد الناشئ

في يوم الاثنين، العاشر من ربيع الأوّل سنة ٦٦١ هـ ولد أحمد بن عبدالحليم، في بيت المشيخة الحنبليّة، وفي واحدٍ من أهمّ معاقل الحنبليّة، مدينة حرّان.

في ذلك البيت ترعرع الوليد، وفي ذلك المحيط أمضى سِنيَّه الستّ الأُولى، تلك السنين التي تُغذّي الطفل بزادها، وتزرع بصماتها في ذهنه، وفي وجدانه، في شعوره ولا شعوره، لتترك آثارها فيه طفلاً، ثمّ يافعاً، ثمّ كهلاً، فشيخاً.

وبعد السادسة من عمره حمله أبوه ـ مع سائر أُسرته ـ سنة ٦٦٧ هـ، مفارقاً مسقط رأسه ومهوى فؤاده، قاصداً دمشق، هرباً من الغزو التتري المتتابع على حرّان.

واستقرّت الأُسرة في دمشق إلى حيث تشتهي من المنزل والمنزلة، فأُفرد للشيخ عبدالحليم ـ والده ـ كرسيّ بجامع دمشق يُدرّس فيه، وأُسندت إليه مشيخة دار الحديث السكّرية في القصّاعين محلّ سُكناه.

وأمّا الناشئ أحمد فلم يُذكر شيء عن طفولته، حتّى ابتدأ درسه على أبيه في دمشق، ثمّ تنقّل بين عدد من مشايخها، وكان أبرزهم:

ـ أحمد بن عبدالدائم المقدسي (٥٧٥ ـ ٦٦٨ هـ): النسّاخ المحدّث الحنبلي، ومن تأريخ وفاته يظهر أنّ ابن تيميّة قد باشر التعلّم عليه مبكّراً ولمّا يجاوز السابعة من عمره.

ـ أبو زكريّا، سيف الدين يحيى بن عبدالرحمٰن الحنبلي (ت ٦٦٩هـ).

ـ مُسند الشأم ابن أبي اليُسر التنوخي (ت ٦٧٢هـ).

ـ عبدالله بن محمّد بن عطاء الحنفي (ت ٦٧٣هـ).

ـ أبو زكريّا، كمال الدين يحيى بن أبي منصور بن أبي الفتح الحرّاني الحنبلي (ت ٦٧٨هـ).

ـ عبدالرحمٰن بن أبي عمر، ابن قدامة المقدسي الحنبلي (ت ٦٨٢هـ).

كما تلمذ على عدد من النساء المحدّثات، وهنّ:

ـ أُمّ العرب، فاطمة بنت أبي القاسم بن القاسم بن عليّ ـ المعروف بابن عساكر مؤرّخ الشأم ـ (ت ٦٨٣هـ).

ـ أُمّ الخير، ستّ العرب بنت يحيى بن قايماز (ت ٦٨٤هـ).

ـ زينب بنت أحمد المقدسيّة (ت ٦٨٧هـ).

ـ زينب بنت مكّي الحرّانيّة (ت ٦٨٨هـ).

ـ وآخر مَن ذكر في شيوخه موتاً: شرف الدين أحمد بن نعمة المقدسي (ت ٦٩٤هـ)، وهو القائل: أنا الذي أذنت لابن تيميّة في الإفتاء[1].

ـ وأمّا الشيخ عبدالسيّد، اليهودي الذي أسلم وتوفّي سنة ٧١٥هـ، فنهم من عدّه في شيوخه، ومنهم من عدّه في رُفقته وأصحابه.

---

(١) عقد الجمان ٣: ٢٨٥.

درس على هؤلاء جميعاً، وآخرين: علوم الحديث، والرجال، واللغة، والتفسير، والفقه والأُصول. وقرأ بنفسه، ونسخ كتباً بيده منها سنن أبي داود. وكان حادّ الطبع، حديد الذهن، قويّ الحافظة، برز على أقرانه ولمّا يجاوز العشرين من عمره، وكان أبوه يعلّمه الإفتاء ويدرّبه عليه ليعدّه لخلافته بعد موته.